

العمران العربي *

﴿ وصف دار الخلافة أو القصر الحسني ﴾

« حين وفد رسول ملك الروم على الخليفة »

حدثني ابو الحسين هلال بن الحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطيء
دجلة تحت نهر مقلبي قديماً للحسن بن سهل ويسمى (١) القصر الحسني
فلما توفي صارت لبوران بنته فاستزلمها المتضد بالله عنها فاستنظرته أياماً في قريظها
ونسليمها ثم رمتها وعمرتها وجصصتها ويصفتها وفرشتها بأجل القروش وأحسنه وعلمت
اصناف الستور على أبوابها وملاّت خزائنها بكل ما يتختم الخلفاء به وربت فيها
من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلت
بالانتقال ، فانتقل المتضد الى الدار ووجد ما استكبره واستحسنه ثم استضاف المتضد
بالله الى الدار مما جاورها كل ما وسّعها به وبهرها وعمل عليها سوراً جمعها به وحصنها
وقام المكني بالله ببدء بناء التاج على دجلة وعمل ورواه من القباب والمجالس
ماتانها في توسعته وتطيته ، ووفى المقدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما انشأه واستحدثه
وكان الميدان والثريا وجبر (٢) الوحوش متصلاً بالدار (٣) كنا ذكر لي

(٥) نشر تحت هذا العنوان أنارات من التاريخ تذكيراً للخلف بسؤدد السلف ، وجاء ان يمت
التذكير على العمل . واتنا نبداً بوصف القصر الحسني نقلاً عن نسخة خطية من تاريخ مدينة السلام
للخطيب موجودة في مكتبة مصطفى باشا السكويرلي بالقسطنطينية مقابلين ذلك على نسخة
G. Salmon للطبوعة بباريس سنة ١٩٠٤ وهي التي أخذها عن نسخة خطية في مكتبة لندره
مشيرين الى اختلاف النسختين في الفواش ومفسرين بعض الكلمات الغريبة
(١) وسمى (٢) وجبر . والجبر هو البستان ولكن الجبر هنا لا معنى لها (٣) في نسخة
سالون بد كلمة بالدار « قال الشيخ الحافظ »

هلال بن الحسن أن يروان سلت الدار الى المتضد وذلك غير صحيح لأن يوران لم تمش الى وقت المتضد وذكر محمد بن احمد بن مهدي الاسكاني في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين وميتين وقد بلغت ثمانين سنة وبشبه أن تكون سلت الدار الى المتضد على الله والله اعلم .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن الترخي قال حدثني أبو الفتح احمد بن علي بن هرون المنجم قال حدثني ابي قال قال ابو القاسم علي بن محمد الجوارزي (١) في بعض أيام القندر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على احدى عشر ألف خادم خصي وكذا من صقلي ورومي واسود وقال هذا جنس واحد من تفضله (٢) الدار قدع الآن النخلان الحجرية وهم الوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن ابيه وعمه عن أبيهما ابي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش ، قال فذهب علينا أن نسأله كم نوبة (٣) كانوا . حدثني هلال بن الحسن قال حدثني ابو نصر خواتمة خازن عضد الدولة قال ملقت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرماها (٤) وما يجاورها ويتاخها فكان ذلك مثل مدينة شيراز . قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين بخيرين .

وقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام القندر بالله ففرشت الدار بالفروش الجنية وزينت بالآلات الجليلة ورتب الحجاب وخطاؤهم والحواشي على طبقتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحنها ومجالسها ووقف (٥) الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد اظهروا العدد الكثير (٦) والأسلحة المختلفة فكانوا من أعلا باب الشمسية الى قريب من دار الخلافة وبدم النخلان الحجرية وخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبرقة والراثة والسيوف

والمناطق المحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامّة
التظار (١) وقد اُكثرت كل دكان وغرفة مشرفة بدرام كثيرة وفي دجلة الشذات
والطيارات والذباب والزلاّات والسمريات (٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتصبّه
وسار الرسول ومن معه من الموابك الى ان وصلوا الى الدار ودخل الرسول فر
به (٣) على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضيقا (٤) كثيرا ومنظرا عظيما
فظن أنه الخليفة وتداخلت له هية وروعة حتى قيل له انه الحاجب وحمل من بعد
ذلك الى الدار التي كانت يرسم الوزير وفيها مجلس ابي الحسن علي بن محمد (٥) الفرات
يومئذ فرأى اكثر مما رآه النصر الحاجب ولم يشك في انه الخليفة حتى قيل له هذا
الوزير وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علفت ستوره واختيرت فروشه
ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخليم بالأعمدة والسيوف ثم استدعي جدران طيف
به في الدار الى حضرة المقنن بالله وقد جلس وأولاده من جانبه فتاهد من الأمر
ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني (٦) الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني
أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القادر بالله قال حدثني جدي
ام ابي اسحاق بن المقنن بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الى تكريت أمر أمير
المؤمنين المقنن بالله بأخباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغداد نزل (٧)
دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقنن بالله من تزين
قصره وترتيب آكله ثم صف السكر من دار صاعد الى دار الخلالة وكان عدد
الجيش مئة وستين ألف فارس ورجال ، فسار الرسول إليهم الى أن بلغ الدار ثم
أدخل في أزج (٨) تحت الأرض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقنن بالله وادى رسالة
صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من السكر أحد أبنة وأغافها

(١) النظارة. والنظارة هم النعم بظروف الى العبيء واما التظار فلامعني لها هنا (٢) كل
هذه ضروب من الزواوي والسنن (٣) ممرته (٤) صمنا والصف ما ليس تحت البروج
واما الضنف فلا يتضح لها معنى هنا (٥) بن (٦) وحدثني (٧) ازل (٨) في كتب
اللغة انه بيت مستطيل وهو اخص من النفق ويسمى بالفرنسية Tunnel

الخدم والحجاب والتنان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد التنان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علفت السور ونظم جوهر الخلاقة في قلابات (١) على درج غشيت بالدياج الاسود .

مطلب دار الشجرة

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة وراها كثر تعجبه فيها (٢) وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة الف درهم عليها اطيبار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك اكثر من تعجبه من جمع ماشاهده . قال لي هلال بن الحسن (٣) ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي ابي الحسين بن أم شيان الهاشمي وذكر أبو الحسين انه نقله من خط الأمير وأحسبه الأمير ابا محمد الحسن بن عيسى ابن القنبر بالله قال كان عدد ماعلق في قصور أمير المؤمنين القنبر بالله من السور الديات المذهبة بالطور (٤) المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والقبلة والخيل والجمال والسباع والطور (٥) والسور الكبار البضائية (٦) والأومنية والواسطية واليهنسية السوادج والمنقوشة والديقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها السور الديات المذهبة المقدم وصفها اتى عشر ألفا وخمس مئة ستر وعدد البسط والتمناخ (٧) الجهرية والدرابجودية والنورقية في المرات والصحون التي وطى عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الحديد (٨) الى حضرة القنبر بالله سوى مائتي الفاصير والمجالس من الاعاط الطبري والديقي التي لحقها النظر (٩) دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة وادخل ورسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الأعظم الى الدار المعروفة بخان الخليل وهي دار اكثرها اروقة بأساطين

(١) قلابات وليس لكتبيهما معنى ظاهر (٢) منها (٣) الكاتب (٤) بالطور (٥) والطيور، وهذا الصحيح ولا معنى للطور هنا (٦) البضائية « نسبة الى قرية صغيرة بالأهواز » (٧) الصواب الانتاخ وهي البسط (٨) الحديد (٩) سمعها للنظر

ورخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهباً وفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديقاج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبرزة الجميلة ثم ادخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة ببحر الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجنا اليها من الحير قطمان تقرب من الناس وتسميم (١) وتأكل من ايديهم ثم أخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديقاج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزيانيين بالنار فهال الرسل امرها ثم اخرجوا الى دار فيها مئة سبع وخسون يمتة وخمسون يسرة كل سبع منها في يدسباع وفي رؤوسها وأعتاقها السلام والحديد ٤

ثم اخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دارين بساين (٢) في وسطها بركة رصاص قلبي حوالها نهر رصاص قلبي احسن من الفضة المجلوة، طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً، فيها اربعة طيارات لؤلؤ بمجالي (٣) مذهبة مزينة بالديقي الطرز وأغشيتها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بمادين فيه نخيل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد ليس جميعها ساجا مقوشاً من اصلها والى حد الجمارة (٤) يخلق من شبة مذهبة وجميع النخل حامل فرائب البسر الذي اكثره خلال لم يقهر، وفي جوانب البستان ارجح حامل ودستنبو (٥) ومقنم وغير ذلك ثم اخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف والشجرة ثمانية عشر فصاً لكل فص من منها ساحات كبيرة عليها الطيور والاصافير من كل نوع مذهبة ومنفضة واكثر تضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تمايل في اوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار يمتد البركة تمايل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فارساً قد البسر الديقاج

(١) وتسميم (٢) بساين (٣) كلمة « بمجالي » ساعة (٤) الخلة

شعبة النخلة (٥) نوع من الناكهة والكنة فارسية

وغيره وفي أيديهم مطاود على رماح يدورون على خط واحد في التوارد خياوتريا (١) وفي الجانب الأيسر مثل ذلك ٦

ثم ادخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكانت فيه من القرش والآلات مالا يحصى ولا يحصر كثرة ٦ وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن (٢) مذهبة مطقة ثم اخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قد علق من جانبه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع ووزرديّة وجبة محلاة قوسي ٦ وقد أقيم نحو الفتي خادم بيضا وسودا (٣) صنين يمتة ويسرة ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه الفان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات (٤) والأعمدة ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجالة واصافير (٥) القواد ودخلوا دار السلام وكانت عدة كثير من الخدم الصقالية (٦) في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والأشربة والقناع ومنهم من كان يطوف مع الرسل فلطول المشي بهم ما (٧) جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن احمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى القنطرة بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد ان لبس بالثياب الدقيقة المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالديقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمتة السرير نعة عقود مثل السبع مطقة ومن يسرته نعة (٨) اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبه الضوء على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمتة واثنان يسرة ومثل الرسول وترجانه بين يدي القنطرة

(١) في نسخة سالون بدل: في التوارد خياوتريا هذه الجملة « فيظن ان كل واحد الى صاحبه قاصد » (٢) الجوشن هو الدرع (٣) في نسخة: بيض وسود واختار سالون النصب (٤) الشروخ هي النصول . والطبرزينات واحدها طبرزيتي فأس من السلاح ويسمى ايضاً طبراً كما في بلاد التلم (٥) واصافر (٦) والصقالية (٧) حرف « ما » ساقط وهو الصواب (٨) سبعة

بأنه فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجان عن المعتد
لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتحويل البساط قبلكه ولكني فلتت ما لا يطالب
رسولكم بئله لأن التكفير من رسم مشر يمتا ووقفا مائة وكانا شابا وشيخا فالشاب
الرسول المتقدم والشيخ الترجان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ
متي حدث بالشاب حدث الموت، وتاوله المعتد بالله من يده جواب ملك الروم
وكان ضحكا كبيرا فتاوله وقبله اعظاما له واخرجا من باب الخفاصة الى دجة واقفا
وسائر اصحابها في شذا من الشداوات الخفاصة وصاعدا الى حيث انزلنا فيه من
الدار المروقة بصاعد وحمل اليها خمسون بدوة ورقاني كل بدوة خمسة آلاف
درهم وخلق على ابي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر
وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة

تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ تدير صحة الحامل والنساء والطفل أثناء التامين الاولين ﴾

الله بالترسية الدكتور اده الاخصائي بنين الولادة وامراض النساء وترجمه بالعربية
الدكتور فرا . صفحاته ۲۷۷ وعدد رسومه ۷۴ وقد طبع بمطبعة المطرف بمصر
ويباع بمكتبة المطرف ومكتبة النار بمسرة فروس صحيفة

من افضل محاسن المدنية الحديثة توزيع العلوم والاعمال وهو ما يصحح أن يطلق عليه
في اللغة العربية الاخصاء فان المرء اذا اقتطم لممارسة فن واحد من فنون العلم برع في
ذلك الفن وأخصى وأمكنه أن يتفهم ويتفهم، وما كانت الاختراعات والاكتشافات
في الماضي والحاضر الأفت الاخصاء، وان الاوتقاء العظيم الذي وصل اليه الطب
مفروغه ولا سيما فن الجراحة لم يكن لولا الاخصاء فهو سبب كبير من اسباب
عظمة مدينة هذا العصر، وما من أحد ينكر أن الطب هو ملاك العلوم العملية وتاج